العوامل المساهمة في بروز النزعة الصوفية في بلاد شنقيط

مريم بنت عبد القادر
طالبة دكتوراه: مكونة التاريخ
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة نواكشوط

ظل الخطاب الفقهي مسيطرا على الحياة الفكرية والدينية في عموم حواضر الساحل الصحراوي ومنطقة السودان الغربي وذلك بفعل تعاظم نفوذ الفقهاء الذين كاوا يتمتعون بكافة المزايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعلى هذا الأساس المنيع وقفوا بكل صرامة أمام كل النزعات الفقهية التي تخرج عن نصوص متون المذهب المالكي وبما أن المذهب المالكي يعتبر الاحتياط في أمور الدين وسد الذرائع من مبادئه الأساسية، فإن ذلك أدى بالفقهاء إلى العمل على تنقية الدين من شوائب الوثنية، وبعد انهيار مملكة الصونغايعليد السعديين، تفككت عرى مؤسسة الفقهاء وعجلت حاجة السادة الجدد إلى مصدر لتشريع سلطتهم، فتنامت النزعات الصوفية وظهرت حركات معارضة لهيمنة الفقهاء والرؤساء التقليديين وقد أدى جمود المنزع الفقهي التقليدي وعجز أصحابه عن الاستجابة لمتطلبات الجماهير ومناداتهم على عدم جواز الخروج على المتغلب سدا للذريعة ومطالبة الناس بالطاعة والتنظير لذلك إلى فقدانهم الكثير من جمهورهم، كما أن حالة التمزق والانهيار وما أحدثته من مسيس الحاجة إلى الملاذ الروحي في مجتمع عرف أن هذه الوضعية ما هي إلا مؤشر لقرب الساعة وانتهاء العالم فوجد ضالة المنشودة في أصحاب الأفكار الإلهامية التي أصبح الإقبال عليها يزداد يوما بعد يوم والتي أنتجتها الظروف والعوامل التي مرت بها المنطقة بأسرها والمناطق المحاذية لها، فكيف تم ذلك وما هي أبرز الظروف التي هيأت الأرض الخصبة لبروز النزعة الصوفية في بلاد شنقيط؟

لقد حظيت مكانة الفقهاء بقسط وافر من الازدهار أيام حكم الآسكيين خاصة" محمد الآسكيا" الذي منحهم مكانة فائقة واحتراما قويا وبقدر ماكانوا يساهمون مساهمة فعالة في اتخاذ القرارات كان لهم دور كبير في تسيير الأمور الجارية في تمبكتو، سواء تعلق الأمر بفض الخلافات والمنازعات أو تعلق الأمر بالسهر على الأمن والاستقرار رعاية أحوال السكان والمساجد[1].

وقد تعلقت قلوب المجتمع بالفقهاء بسبب الاهتمام أثناء المحن والكوارث، حيث أنهم اعتادوا على إظهار أعمال البر والتآخي وكذلك حث الطبقة الخاصة والمياسير على كثرة الصدقات والعطايا والهبات (الفقراء والمساكين).

[1] سيد أعمر ولد شيخنا، الفكر السياسي في غرب الصحراء، دراسة في تجربة وأدبيات المدرسة الكنتية، ط 1، 2012، ص: 43

وقد نال هؤلاء الفقهاء مكانة ونفوذا كونهم حفظة الدين وبالتالي أصبحوا محل رعاية خاصة من طرف الملوك والوجهاء والمجتمع، وقد عاش معظم الفقهاء عيشة رغدة[1]، وتمتعوا بكل المزايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية إلا أن هذه المكانة والثروة والجاه عرفت تغيرا ملحوظا في أيام السعديين وذلك لتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وما أحدثته الحرب من أزمات كان لها كبير الأثر على حياة السكان وأنشطتهم فقد تبدل الحال وتفككت عرى مؤسسة الفقهاء، ونتيجة لحاجة هؤلاء السادة الجدد إلى مصدر لتشريع سلطتهم عجل ذلك من تنامي النزعات الصوفية التي وجدت في ظل هذه العوامل التالية الأرض الخصبة لنموها وبروزها وانتشارها.

1- العامل السياسي:

تعرضت مملكة السونغاي مع نهاية القرن السادس عشر ميلادي لأعنف حملة من نوعها عرفها تاريخ المنطقة وبغض النظر عن أسباب هذه الحملة فإن أكثر ما يهمنا هو ما أسفرت عنه من نتائج كان لها تأثيرها البالغ على الفكر والثقافة في بلاد شنقيط فماذا أسفرت عنه؟

كان من نتائج هذه الحملة على مجتمع السونغاي جلب حوالي مائة شخص منهم كأسرى ومساجين إلى مراكش بالمغرب[2].

باستثناء الأموال وقطع الحلي التي نهبها الجند من منازل الأعيان[3] كما أن هتك أعراض النساء أصبح ديدن الجنود بأوامر ضباطهم أو بدورها أما سبي نسائهم وبناتهم المسلمات وتقديمهن جواري للجنود المغاربة لم يكن ليثير مروءة المعتدين خصوصا أن من بينهم عددا كبيرا من النصارى الإسبان الذين كانوا يعززون كتائب الرماة من الجيوش المغربية[4]

كما لاقت طبقة العلماء من التقتيل والنفي على يد المغاربة ما لم يعهدوه وليست الغرابة في هذا التصرف من حيث أصله بقدر ما الغرابة من حيث مداه وشدته فالفقهاء كانوا أعيان البلاد ومحل احترام وتقدير العامة والخاصة وهكذا كان قرار القادة المغاربة بممارسة العنف إزاء طبقة العلماء بمناسبة الضربة الوقائية التي أرادت من خلالها الإدارة المغربية إخلاء الساحة السودانية من مقومات دفاعها[5].

---

[1] السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، تاريخ السودان، تحرير وتعليق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية بيروت، 2012، ص 277

[2] نفس المصدر سابق، ص 277

[3] نفس المصدر سابق، ص280

[4] حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي القاهرة، 2001، ص 257

[5] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، دار سلمى، الدار البيضاء، د- ت، ص 264

وكانوا يدركون جيدا أن علماء السودان هم من أبرز الفقهاء المالكية وهذا الصنف من الفقهاء عرف على مدى تاريخه ومنذ العهد الأول الإمام مالك بتزعم المجتمع والدفاع عن حقوق أفراده وبمواجهة المظالم كما يغلظون للحكام ويجرحونهم دون أن يخيفهم أي تهديد أو يثنيهم سجن أو تعذيب.

ولقد سعوا جاهدين لضرب العلماء وتقتيلهم وتشريدهم قبل أن تتبلور أفكارهم ومعارضتهم فتتحول إلى مقاومة شعبية منظمة تأخذ طابعها المقدس من أوامر الفقهاء والقضاة والأئمةوأمام هذا الوضع المأساوي للعلماء بسبب القتل الذي صار ينتظر كل عالم ولمجرد اشتباه أو وشاية من سفيه.

تعطل النشاط الثقافي بالحواضر وعزف طلاب العلم عن ولوج المراكز العلمية والجماعات ولذلك آثر من بقي من علماء تنبكتو الهجرة بدينهم وعلمهم فكانت المدارس العلمية بالقرى تتنافس في استقطاب هؤلاء العلماء واحتضانهم وكان من انعكاسات المحنة ظهور الهجرة المعاكسة[1] في طلب العلم حيث صار الطلاب يفدون من الحواضر على القرى الصغيرة لطلب العلم عكس المحور السابق الذي ينطلق من القرى والأرياف باتجاه المدن والجامعات الكبرى بتنبكتو وولاته، سنضيف إلى تلك النتائج التحام العلماء بعامة المجتمع فلقد كان العلماء السودانيون ذو الأصول الصنهاجية خاصة في السابق يتجنبون مخالطة عامة الزنوج أو الاحتكاك بهم مخافة تسرب عادات الجاهلية الوثنية التي ظلت نسبة كبيرة منها عالقة بمعتقدات وسلوكيات أهل السودان وبهذا الوضع أو الموقع الجديد أصبحت العلاقة بين العلماء والمجتمع أفقية بعد أن كانت عمودية عندما كان العلماء قابعين في بروجهم يصنفون ضمن الخاصة من الساكنة وكبار التجار.

انتشرت كذلك ظاهرة السلب والنهب والسرقة بمدن السونغاي[2] التي كان الجنود المغاربة السبب الأول في بروزها أولا لممارستها وثانيا لإرغام الناس عليها بعد تفقيرهم ونهب كل أموالهم وممتلكاتهم وانعدم بذلك الأمن الاجتماعي.

وانقلبت المفاهيم الأخلاقية وتدهورت القيم فلم تعد الأرضية الدينية والاقتصادية والاجتماعية كما كانت عليه من قبل.

---

[1] عبد الودود ولد عبد الله، الإسلام والمجتمع في إفريقيا الغربية خلال القرنين 17و18 الميلادي، حوليات كلية الآداب، العدد 2، 1990، ص 14

[2] السعدي، مصدر سابق، ص 291

2 – العامل الطبيعي:

لم تكن ظروف المناخ أحسن حالا فقد اجتاحت البلاد بل المنطقة بأسرها موجات حادة من الجفاف والمجاعة والقحط كما انتشر وباء الطاعون والأمراض نتيجة المجاعة التي حلت بالبلاد والعباد وأهلكت الحرث والنسل[1].

وقد ترددت أصداء هذا الوضع الكارثي ولعل من أفظع المجاعات التي شملت الأجواء الشرقية من البلاد إن لم تكن شملت البلاد بأسرها تلك التي وقعت 1025هـ – 1616م التي أجبرت الباشا جدو على إعفاء الناس من الضرائب وأيضا مجاعة سنة 1048هـ– 1639م التي يخبر عنها السعدي وهو شاهد عيان بالقول:".... وفي هذا الشهر أي شوال ابتدأت الحوادث والغلاء المفرط وبقيت تزداد حتى عمقت الآفاق والأقطار وبلغت في الشدة مبلغا حتى أكلت المرأة ولدها ومات من الخلق ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى وبلغ الجهد من الناس حتى عجزوا عن تجهيز الأموات، فحيث مات امرء يوارى في البيوت والأزقة بلا غسل ولا صلاة فدامت ثلاث سنين ثم انصرفت والحمد لله رب العالمين[2].

ويبدو من خلال ما نقل عن تذكرة النسيان وعن الطالب الصغير البرتلي أن مسلسل القحط والمجاعات والطاعون ظل متواصلا في أغلب عقود القرن.

3 – العوامل الاقتصادية والأمنية:

لقد كان لهذه التطورات كلها التي بدأت تشهدها البلاد والمناطق الحافة بها، منذ ملتقى القرنين 16م و17م دور فقال في استشراء جو من الاضطرابات الأمنية والصراع المزمن وهو ما كان حاسما في التراجع الكبير الذي أصاب مسالك التجارة الصحراوية في وقت تزايد فيه الحضور الأوروبي على السواحل.

وقد سمحت وضعية التنافس بين المنظومتين الصحراوية والأطلسية لأجزاء واسعة من البلاد بالازدهار قبل تمحض السيطرة للتجارة الأطلسية.

وبالتساوي مع انتقال مركز الثقل الاقتصادي من موانئ الساحل الصحراوي إلى موانئ الساحل الأطلسي[3]، الذي لم يكن سريعا ولا فجائيا حدثت هجرات بشرية واسعة النطاق باتجاه الغرب صوب المدن الوسطى مرحليا ثم صوب البوادي والأرياف القريبة من الأطلسي ولم تختلف الثقافة عن أهلها في عملية انزياحهم تلك، لكن الإطار الاجتماعي لإنتاج المعرفة تحول من محيط ضيق تحتكر فيه أسر وشخصيات قليلة شارة العلم وسلطان المعرفة إلى محيط أوسع تحتكر فيه هذا السلطان وتلك

---

[1] ولد عبد الله (ددود)، الحركة الفكرية، م س، ص 80

[2] السعدي، مصدر سبق ذكره، ص ص221 –222 و260، المختار ولد السعد، حرب شربب أو أزمة القرن السابع عشر في الجنوب الغربي الموريتاني، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، ط 2، 2007، ص 17

[3] ولد عبد الله (ددود)، الحركة الفكرية، م س، ص 80–81

الشارة قبائل تسمى (الزوايا) التي يرمي ولد عبد الله أنها وريثة المجتمع المدني الذي كان يتمتع بنفوذ واسع في المدن التجارية المتاخمة للمجال السوداني[1]

كانت تلك الهجرات البشرية هي السر وراء حالة الاضطراب والتذمر التي ستعرفها البلاد بفعل الضغط على الموارد الشحيحة ونقاط المياه كما كان هؤلاء المهاجرون مصدرا للعديد من الصراعات والحروب التي ستنشب في هذه المناطق الجديدة وإن لم يشاركوا فيها.

وفي ظل هذا الصراع المزمن والاضطراب الأمني الخطير والكوارث المتلاحقة كان المجتمع يشهد حركة بنيوية عميقة ستجد التعبير المناسب عنها ببروز بعض التيارات الفكرية التي شكلت ملاذا يهرب إليه المتطلعون إلى التغيير.

وقد أدى جمود المنزع الفقهي التقليدي وعجز أصحابه عن الاستجابة لمتطلبات الجماهير، ومناداتهم إلى عدم الخروج على المتغلب سدا للذريعة ومطالبة الناس بطاعته والتنظير لذلك إلى فقدانهم الكثير من جمهورهم[2].

كما أن حالة التمزق والانهيار وما أحدثته من الحاجة إلى الملاذ الروحي في مجتمع يعتقد أن ما يحدث من حوله ما هو إلا مؤشر على قيام الساعة وقرب انتهاء العالم جعلت الإقبال يتزايد على أصحاب (الأفكار الإلهامية).

فوجد العامة في هذا التيار الفكري الصوفي في أحايين كثيرة طمأنة من غلق مصيري إزاء الظواهر الطبيعية المهددة لمستقبل الإنسان وأجوبته عن تساؤلات مأزقيه اتجاه الوضع والقدر والمصير.

كما كانت حالة السيبة المستفحلة ونمط العيش المعتمد في جزء منه على اقتصاد الغزو حافزا جعل الكثير من الفئات المسالمة أو المغلوبة على أمرها تجد لها منتقما أو نصيرا لدى أصحاب التيار الباطني بخوارقهم وكراماتهم التي تقوم على الانتصار الدائم في نهاية المطاف، ولم يكن ظهور هذه الأفكار مفاجئا بل نتاج تطور النزعة الصوفية التي رأينا مدى حضورها في صميم البنية الثقافية والفكرية وبالتفاعل مع هذه التحولات التي بدأت تعرفها المنطقة منذ الربع الأخير من القرن العاشر الهجري (16م).

---

[1] ولد عبد الله (ددود)، الحركة الفكرية، م س، ص 80-81

[2] ولا يخفي على المتتبع نزوع فقهاء المنطقة وفق المدرسة الأشعرية المالكية إلى قبول الأمر كيف ما كان حافظا على بيضة الإسلام، ووقوفا في وجه الفتن، معتبرين أن (من اشتدت وطأته وجبت طاعته) والأمثلة على هذا كثيرة في فتاوى العلماء، وبخصوص تلك الظاهرة وتأصيلها يمكن العودة إلى عمل الباحث: محمد الأمين ولد سيد أحمد، السلطة والفقهاء في إمارة اترارزة خلال القرن 19م، طبعة المنار، ط1، انواكشوط، 2003، ص 189 -215

ولطالما وجد التصوف في مثل هذه الظروف بيئة مواتية لترسخه واشتداد عوده حين يكون المعول عليه الأولياء والصالحين لخلق نوع من التوازن السياسي والاجتماعي، لقد أثمرت هذه الظروف تناميا ملحوظا لمكانة التصوف الشنقيطي جسده ما لعمر الولي المحجوبي الولاتي(1070هـ – 1660م)[1] الذي كان وحيد عصره وفريد دهره وأحد رجال الكمال وأعلام الصوفية ذو الكرامات الظاهرة والأخلاق الطاهرة والشريف الشاب المعروف في بعض الروايات بالشاب الشاطر، والذي كان حيا عام (1045هـ)[2] المتضلع في علمي الظاهر والباطن الجامع بين الحقيقة والشريعة وإضرابهم من اعتبار بل وصل الأمر إلى خروج التصوف من إطاره المنسجم مع خطاب نخبة الفقهاء التقليديين بل على الأصح خروجهم عن سيطرة تلك النخبة ليشكل تيارا مستقلا يتركز أكثر على المعرفة الذوقية في مقابل المعرفة النصانية.

إنها فعلا ثورة ضد المؤسسة الدينية الرسمية هدفها الخروج عن وصاية تلك المؤسسة التي ما فتئت تسعى للحفاظ على الأوضاع السائدة وتعمل على تعزيزها من خلال آليات إنتاج معرفة ثابتة لكن ذلك لا يعني أن نشوء هذا التيار الصوفي الباطني الميال إلى الخوارق والمثبت بالكرامات كان مقطوع الصلة عن الازدهار العارم الذي شهدته الزوايا الصوفية في مشرق العالم الإسلامي ومغربه وخاصة في منطقة المغرب الأقصى إثر نجاح تلك الزوايا في حمل راية الجهاد وصد الغزو الأوروبي ولا نحتاج إلى التأكيد على ما بين المغرب بوجه عام وبين البلاد الشنقيطية من روابط وشيجة خصوصا على الصعيد الثقافي والروحي.

أم أننا لا ينبغي أن نعول كثيرا على تأثير المغرب أو المشرق مهما بلغت مصداقيته ما دمنا نستطيع أن نجد لهذه الظاهرة مسوغا يجعلها وليدة تطور الفكر الصوفي في المنطقة أو منزلة من منازل التدرج في طريق القوم استطاع هؤلاء برصيدهم الديني وفي ظروفهم الخاصة الوصول إليها أو لم يقل الغزالي أن أخص خواص الصوفية ما لا يمكن الوصول إليه بالتعليم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات[3]

وعليه فالتصوف ليس بالضرورة ثمرة لثقافة نظرية وإنما وسيلة العمل والطريق إليه مجاهدة تفضي إلى حال يمتزج فيه النظر بالعمل والفكر بالممارسة فيفضيان إلى إلهام أو كشف أو ذوق أو فتح

---

[1] راجع ترجمة في: البرتلي، م س، ص 317

[2] نفس المصدر، ص 376

[3] الغزالي (أبو حامد)،المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي الغزة والجلال، تحقيق وتقديم، جميل صليا وكامل عياد، ط 7،دار الأندلس، بيروت 1967،ص 101

يغمر البصيرة المجلوة[1]ولعل أقدم تعبير عن هذا التوجه الباطني في المنطقة هو ما أظهره الفقيه أبو عبيد الله محمد بن محمد ابن علي ابن موسى عريان الرأس توفي 1020هـ –1611م[2]الذي نزع العمامة وهي شعار الفقهاء فلقب بعد ذلك بعريان الرأس وأعلن نفسه وليا مكاشفا فخرج على التقليد القديم ووصل التمييز ذروته عندما خرق عريان الرأس قاعدة الحجاب التي كان الفقهاء يقننون بها علاقاتهم مع الناس واتصل بالعامة وفتح بابه لأهل المخزن من الباشوات الذين كانوا يبحثون عن مصدر لتشريع سلطتهم كما جذبت كراماته العريان والمسافرين[3]، وأصبح ملاذ العامة،

ويتضح مما ذكره السعدي[4] الذي كان من معاصري هذا الولي المكاشف أن الفقهاء التنبوكتيين كانوا يعارضونه وينكرون عليه بعض الأفعال التي من أبرزها عدم إتيانه الجمعة، لكنه كان يرد أنه يأتيها قبلهم ولكن في صورة غامضة من دون أن يرى ورغم أن هذا الادعاء غير مقنع للفقهاء فإنه كان يتوعدهمبالانتقام واستخدام السلاح الخفي ورغم أن أغلب الذين كانوا يزورون هذا الرجل ويتبركون به هم المخزن والباشوات فهو مع ذلك لم يطمح في الحصول على منصب سياسي ولا الحصول على تكديس ثروة لأن ما يحصل عليه يوزعه على الناس في شكل صدقات وأحيانا يشتري المماليك ليعتقهم، ولكن يبدو من خلال مواقفه مع الفقهاء التنبوكتيين أنه كان يطمح إلى أبعد من الهدفين السابقين، فقد يكون طموحه ينصب إلى سحب البساط من تحت الفقهاء الذين يمكن أن يكونوا قد تفوقوا عليه في مجال الفقه والعلوم الشرعية.

ومهما يكن من أمره فقد أوجدته ظروف اجتماعية وسياسية واقتصادية كانت تمر بها المنطقة كلها وكانت وضعية المدن الإسلامية في تلك الفترة قد بدأت تنذر بالخطر وتستدعي تيارا إسلاميا نشطا متحركا يستطيع أن يساير الأحداث في تلك الفترة لأن التيار الفقهي السائد آنذاك لم تكن لديه مثل هذه النشاطات وإنما كان نشاطه ينصب حول الدراسات الفقهية[5] ويبدو أن رواج هذا التوجه لدى العامة هو الذي سيترجم إقبال الناس على الطائفة الخلوتية[6]في اكدر وما رافقها من صخب وحرارة

---

[1] راجع مقدمة تحيق كتاب (خلع النعلين)، ابن قسي (أحمد)، م س، ص 16

[2]البرتلي، مصدر سبق ذكره، ص 111

[3]حماه الله ولد السالم، المجتمع الأهلي، مرجع سبق ذكره، ص 230 . 231

[4] السعدي، مصدر سبق ذكره، ص 55

[5]نفس المصدر، ص 52 . 43 . 54

[6]الخلوتية: هي إحدى الطرق الصوفية السيئة ويختلف الدارسون في تحديد نفسية هذه الطريقة، لكن الراجح أن الشيخ محمد بن نور الخلوتي المتوفى سنة 65هـ هو أول من عرف بالخلوش نسبة إلى الخلوة الصوفية وبالتالي فهو شيخ هذه الطريقة الأول وقد كان الخلوتي من أتباع الطريقة السمروردية وأخذ التصوف عن إبراهيم الزاهد الكيلاني

تلك الطائفة التي لم تأخذ الفقهاء بإصحابها رأفة في دين الله بل اعتبروها بدعة وافتوا بقتل الشيخ الذي جاء بها فقتل.

أما على الصعيد المحلي فكان أوبك ابن أبهم بن أشفغأبهنضالديماني الشهير بالإمام ناصر الدين توفي(1098هـ – 1687م) الذي ظهر في جنوب غرب البلاد منتصف القرن الحادي عشر، ومحمد ابن أحمد بن أحسن الشمسدي الإمام المجذوب توفي(1098هـ – 1687م)[1] الذي ظهر في مدينة أطار في نفس الفترة أبرز مثالين لهذه الظاهرة في عموم البلاد، لقد شكل هؤلاء الباطنيون لحين من الدهر قطبا روحيا لدى عامة الناس فاشرأبت إليهم الأعناق وتعاظم الإقبال عليهم لما يظهر على أيديهم من عظيم الخوارق والمكاشفات.

ومن الجدير بالذكر أن الظروف التي أفرزت أمثال هؤلاء هي التي أملت عليهم لعب أدوار سياسية فشكلت إيديولوجيا العلم بالغيب على حد تعبير الجابـري[2] ملاذا للجماهير يجعلهم يتمسكون بالأمل ويبشرهم بالفرج وكان لا بد في ظل حالة السيبة المستفحلة أن يتأثر أمثال هؤلاء بطموحات الجماهير وتطلعهم إلى الإمام المنتظر الذي تجتمع عليه الكلمة ويملأ الأرض عدلا.

وعلى هدي من ذلك الطموح تبلور المشروع الإصلاحي لحركة ناصر الدين[3] التي أرادت إسنادا إلى الفكر الصوفي تغيير الأوضاع الفاسدة وقلب النظام القائم كما حاول مجذوب أطار أن يخلق عامل استقطاب روحي محلي لتظهر الهموم السياسية للدعوة المجذوبية[4] بادية للعيان وهي مشاريع سياسية لا تستمد شرعيتها من الثورة القبلية أو الأعراق بقدر ما تستمدها من الاستجابات لنوازع الوسط الاجتماعي ومن مرجعيتها الدينية والروحية

الخاتمة

نستنتج مما سبق أن هذه النزعة الصوفية لم تخرج من فراغ، بل كانت نتاج ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية فعلت فعلها في المنطقة، وقد كانت الحملة السعدية ضربة للعلماء والفقهاء، تعطلت

(ت653هـ) قبل أن يستقل بطرقته الخاصة ويتفرع لجمعالإتباعوتعليم المريدين راجع الكوثر (محمد الزاهد) البحوث السنية عن بعض رجال أسلنيد الطريقة الخلوتية(دمن)، ص19

[1] أهم المصادر المتوفرة بخصوص هذين الرجلين هما كتاب اليدالي((محمد بن المختار بن سعيد)) أمر الولي ناصر الدين م.سوكتاب المجذوب((محمد بن حسين الشمسدي)) كتاب المنة، ج1، دراسة وتحقيق السني عبداوة، مطبعة الكتاب انواكشوط، 2001

[2] الجابري (محمد عابد)، العقل السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت 1996م، ص 283

[3] راجع . ولد السعد (محمد المختار): حرب شر ببه، ص 195 وما بعدها.

[4] راجع مقدمة تحقيق كتاب المنة، ص 18

من خلالها منابر المعرفة وتعطل النشاط الثقافي بالمدن الكبرى وتواصلت الهجرات البشرية صوب البوادي والأرياف وانتشرت ظاهرة السلب والنهب وانقلبت المفاهيم الأخلاقية وتدهورت القيم ولم تكن ظروف المناخ أحسن حالا بل اجتاحت البلاد بل المنطقة بأسرها موجات حادة من الجفاف والمجاعة والقحط وانتشر الطاعون وتوالت الأمراض والكوارث، كان لهذه التطورات التي بدأت تشهدها البلاد والمناطق الحافة بها منذ ملتقى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين الأثر البالغ في انتشار جو من الاضطرابات الأمنية والصراع المزمن وهو ما كان حاسما في التراجع الكبير الذي أصاب مسالك التجارة الصحراوية وتمحض السيطرة للتجارة الأطلسية.

وفي ظل هذه الهجرات البشرية والصراع المزمن والاضطراب الأمني الخطير والكوارث المتلاحقة كان المجتمع يشهد تغيرا ملموسا، تجسد في بروز التيارات الفكرية التي شكلت ملاذا يهرب إليه المتطلعون إلى التغيير فكيف تم ذلك؟

المصادر والمراجع:

1. السعدي: الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر ابن عامر السعدي، تاريخ السودان، تحرير وتعليق حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.
2. الغزالي، أبو حامد، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذاتي الغزة والحلال، تحقيق وتقديم، جميل صليا وكامل عباد، ط7، دار الأندلس، بيروت، 1967م.
3. البرتلي(الطالب محمد بن أبي بكر الصديق) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تحقيق عبد الودود ولد عبد الله ، أحمد جمال ولد الحسن، مركز بجيبويه، القاهرة 2010م
4. سيد أعمر ولد شيخنا، الفكر السياسي في غرب الصحراء، دراسة في تجربة وأدبيات المدرسة الكنتية، ط1، 2012م
5. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، دار سلمى، الدار البيضاء، (ب ت ط).
6. عبد الودود ولد عبد الله، الإسلام والمجتمع في إفريقيا الغربية خلال القرنين 17 و18م، حوليات كلية الآداب، انواكشوط، 1990م
7. المختار بن حامدون، الحياة السياسية، ط1، دار المغرب العربي بيروت 2000م
8. المصطفى ولد خطري، سلفية المأمون ولمجيدري، بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة الشيخ أنتا جوب، دكار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية 2005 – 2006 م
9. حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي القاهرة، 2001

10. الجابري (محمد عابد)، العقل السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت 1996م
11. ولد السعد (محمد المختار)، حرب شربيه وأزمة القرن السابع عشر في الجنوب الغربي الموريتاني، المعهد الموريتاني للبحث العلمي 1993م
12. المجذوب (أحمد بن حسن الشمسدي)، كتاب المنة، ج:1، دراسةوتحقيق: السني ولد عبداوة، مطبعة الكتاب، انواكشوط،2001م